دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

توجيهات في الصلاة

(تم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية واليونانية)

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

برية شهيت

مقالات تصلح للخدام والشباب

المقالة الثالثة

توجيهات في الصلاة

الأب متى المسكين

المحتويات

١ - المسيح ينتظرنا

+ كل مرة نقف فيها أمام المسيح لنصلي بحرارة وتوسل، تتلاقى حينئذ مشيئتنا مع مشيئته فننال رحمة؛ وبكثرة الصلاة وإخلاصها تتقارب المشيئتان.

المسيح يتقابل معنا في الصلاة، ونحن نتعرَّف على مشيئته:

+ لا يمكن أن يتقابل معنا المسيح أو نتعرَّف على مشيئته إلا بالصلاة.

+ المسيح ينتظر صلاتنا ويترقبها «هنذا واقف على الباب وأقرع» (رؤ٣: ٢٠). وهو أعلن لنا في الإنجيل أهمية وضرورة الصلاة، مُلِحّاً أن نصلي في كل حين وباستمرار وبشرط أن لا نَملَّ من الصلاة؛ لماذا؟ لأنه في الصلاة يستطيع أن يتصل بنا ويعلن لنا مشيئته ويعطينا نعمته.

+ الخطية مكروهة لدى الآب ومُحزنة للمسيح، لأنها تسببت في الصليب والآلام الفادحة التي عاناها الرب بدون رحمة من بني البشر.

ولكن بمجرد وقوف الخاطئ أمام الله الآب متمسكاً بالصليب متوسلاً بدم المسيح، تسقط عنه الخطيئة ويرفع عنه حُكمها وتزول لعنتها من عليه؛ **لذلك جيد أن يحمل الإنسان الصليب ويقبِّله كثيراً وقت الصلاة.**

+ المسيح احتمل الصليب من أجل السرور الموضوع أمامه، أي سروره بخلاص الناس وتصالحهم مع الآب.

والمسيح لا يزال يحتمل خطايانا بسرور فهو مستعد أن يغفر الخطيئة حتى ولو تكررت في اليوم كثيراً، طالما في كل مرة نتوب إليه بانسحاق

نفس، لأن الآلام التي احتملها وجازها حتى الموت تعبِّر عن استعداده الفائق لاحتمال الخطايا بلا حدود، لأنه مكشوف أمام قلبه ضعف طبيعة البشر وهوان الإرادة وذلة الإنسان.

لذلك جيد للإنسان أن يتقدم أمام المسيح للصلاة بوجدان الخطاة ومذلتهم وهو مطأطئ الرأس وقارع الصدر ومعفَّر الجبين بتراب الأرض؛ ولكن وفي نفس الوقت بضمير واثق من غفران المسيح وصفحه وحنانه الشديد وسروره بنا الذي يشتد بالأكثر في حالة الضعف الكثير.



٢ - في الحضرة الإلهية

توسط الرب يسوع المسيح في صلاتنا:

+ الصلاة هبة كريمة أُعطيت للإنسان للتواجد مع الله الآب بتوسط يسوع المسيح، وفيها يتم تنازل حقيقي من الله للوجود مع الإنسان بسبب حب الله الآب لابنه يسوع المسيح الذي يكون حاضراً معنا بمقتضى اتضاعه حسب وعده. والروح القدس يمهِّد **بالنعمة** لهذا اللقاء الروحي غير المنظور. **لذلك يلزم السجود بكل خشوع ووقار للآب والابن والروح القدس** متواتراً بكثرة كثيرة، كرامة للحضرة الإلهية وتعبيراً عن منتهى الخضوع قبالة الثالوث القدوس. **وكلُّ سجدة جيدٌ أن يلازمها تقبيل للصليب** الذي من عليه نلنا هذه المواهب الكريمة وصار لنا قبول وجراءة وقدوم إلى الآب.

+ الصلاة **تبدأ باسم الآب والابن والروح القدس** لأنه هو وحده الذي له العبادة، **ثم الذوكصا أي إعطاء المجد للثالوث القدوس** كشهادة للحضرة الإلهية الكاملة، **ثم أبانا الذي في السموات** التي يلزم عند تلاوتها أن توجَّه إلى الآب بكل وقار كإبراهيم الذي وقف يخاطب الله كتراب ورماد وهو في شعور الانسحاق الشديد.

+ الله لا تسعه السماء ولا سماء السموات فكم بالحري الأرض، وبالرغم من ذلك **فإنه يدخل ويرتاح في النفس البشرية** التائبة، أي التي تمارس التوبة؛ لأن النفس البشرية هي نفخة من نسمة الله أي من روحه، فكما تشتاق النفس إلى خالقها هكذا يشتاق الخالق إلى خليقته لأنها من روحه، **لذلك يلزم أن لا يتصور الإنسان أثناء الصلاة أي صورة لله**

الآب أو الابن أو الروح القدس كأنهم خارج الإنسان أو يمكن أن تراهم العين؛ لأن الله يحضر داخل النفس وليس خارجها فتحسه ولكن لا تراه: «**صلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء**» (مت٦:٦).

+ الخوف من الله أو الجزع من الخطيئة الكثيرة والشكوك الناتجة عن التجارب أو عن الأمراض تجعلنا نحس أن الله غير موجود.

ولكن هذا لا يفيد أن الله يكون أثناء الصلاة غير موجود. يستحيل أن يبدأ الإنسان بالصلاة المنسقة ويتغيب الله عن الإنسان قط، لأن محبة الله لا تبالي بخطايا الإنسان التائب ولا تجزع من نجاساته أو شكوكه لأن عندها قوة غفران وتطهير لانهائية.

التشدد بالإيمان فوق العواطف والأحاسيس:

لذلك يلزم بلا شك أن يثق الإنسان بوجود الله في الصلاة وبسماعه كلمات توسلاته وقبوله للصلاة بسرور، وأن يتأكد الإنسان أن الله غير متقلب كالبشر، فمحبته ثابتة ووعده أمين. وطالما أحب مرة فهو لن يتراجع عن إعانة الإنسان، ولكن مرة بالحب ومرة بالتأديب والتخلي، حتى يكمل خلاصه.

وعلى الإنسان أن لا يعتمد على عواطفه ولا على إحساسه في علاقته بالله؛ ولكن عليه أن يتشدد بالإيمان فوق العواطف والأحاسيس.

أعذار الهروب من الصلاة:

+ **جسد الإنسان عدو لروحه فهو لا يرتاح إلى الصلاة**، وخصوصاً إذا كانت الصلاة صادقة وطاهرة بروح العبادة الحقَّة التي فيها إنكار

الذات وإماتة شهواتها وأطماعها وآمالها الدنيوية الكاذبة. **لذلك يخترع الجسد أسباباً للهروب** من الصلاة فهو **يدَّعي المرض** والضعف وآلام الرأس والمفاصل والظهر وشدة الحاجة إلى النوم. فإذا غصب الإنسان نفسه على الصلاة يحاول الجسد أن **يختصر الصلاة**؛ فإذا غصب الإنسان نفسه على تكميل الصلوات يحاول الجسد الهروب من معاني الكلمات، ويتلعثم اللسان، ويخور العقل **ويطيش** هنا وهناك، ويتبلد الذهن. لأن الذات وهي متخذة فرصة بالجسد لا تريد أن تسمع كلمات الصلاة لأن فيها يكمن موتها (أي موت الذات) كالحية التي تهرب من رقية الساحر، فتسرع لتسدَّ أذنيها حتى لا تسمع صوت الله لأنها تعلم أن فيه موتها. والرب يعلم ذلك، لذلك أوصى قائلاً: «صلوا ولا **تملُّوا**»! (لو١٨: ١).

ولكن هذه الأعراض الخطيرة لا تظهر في الصلوات الفريسية الباردة التي يؤديها الإنسان لكي ينال بها أجراً من الناس أو مديحاً أو إطراءً أو إعجاباً، بل على العكس فالجسد يقبل مثل هذه الصلاة ويميل إليها، ويقوم مبكراً ليؤديها علناً، ويتشدد للوقوف ساعات طويلة أمام الناس، ويرفع صوته عالياً، ويكون العقل واعياً جداً ويتلو الصلوات بوقار مصطنع وبتدقيق يثير دهشة الناس؛ لأن الصلاة هنا تكون عند مسرة الذات البشرية، فهي صلاة ذات أجر جسدي لأنها تزيد الذات ثباتاً لا إنكاراً، وتألهاً لا موتاً، لذلك فهي تكون لذيذة كجمع الأموال ولا يمل منها الجسد أبداً كما يمل من الأكل الجيد.

والرب إذ يعلم ما في الإنسان سبق وقال: «وأما أنت فمتي صليت فادخل إلى مخدعك وأغلقْ بابك وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء»! (مت٦: ٦).

وهنا، غلق الباب يشير إلى ضرورة جعل الصلاة غير مسموعة وغير

منظورة من الناس، على الأقل في نية المصلي وضميره!

قمع الجسد يزكي اشتعال الروح:

قمع الجسد قبل البدء في الصلاة وأثناءها ضرورة حتمية لضمان انطلاق الروح في صلاة حارة. وهذا يتم بعملين: **الأول سلبي** كالسجود مرات كثيرة والصوم والصمت والتقشف وعدم التزين، **والثاني إيجابي** وذلك بتقديم محبة قلبية صادقة للمسيح بعبارات الحب والاشتياق ومناجاة مستمرة معه لا تهدأ طوال النهار والليل، مع تأمل في كلماته ووصاياه.

أي أن حرارة الصلاة تتوقف على **إقماع الجسد واشتعال الروح معاً**، وواحدة منها لا تكفي لأن الواحدة تزكي الأخرى. فإقماع الجسد يمهد لاشتعال الروح، واشتعال الروح يسهل إقماع الجسد.

وبهذين العملين تؤمَّن الصلاة ضد التشتت الذهني والبرودة والملل والفتور.

الصلاة والزمن:

+ المسيح دخل إلى العالم بالتجسد، والأرثوذكسية تؤمن بوحدة الطبيعة الإلهية المتجسدة، لذلك فالمسيح وحَّد الحوادث البشرية والزمن بلاهوته الأبدي فصارت كل أعمال المسيح التي عملها بالجسد، سواء كانت صلاة أو رحمة أو محبة أو تألماً فدائياً، صارت كلها أعمالاً إلهية خالدة. أي أن الزمن اتحد بالأبدية في شخص يسوع المسيح.

الدخول إلى المسيح بالصلاة هو في الحقيقة تمجيد الزمن وتقديسه

بل وتمجيد العمل البشري في حد ذاته وتقديسه. فالصلاة الحقيقية هي في الواقع «افتداء الوقت»، وتحويل الزمن الميت إلى عمل إلهي خالد. لذلك فالدخول الحقيقي في الصلاة والبقاء فيها يلازمه بالضرورة رفع الإحساس بقيمة الزمن بشرياً ومادياً واستبدال حركة الساعة بحركة الروح. فالروح في الصلاة مدعوة أن تشارك الأرواح القدسية في الأبدية، لأننا بالاقتراب من المسيح نقترب حتماً من ملكوت السموات.

لذلك فالسرعة في الصلاة وكذلك الملل هما جنوح إلى الزمن المادي العاري من بركات الروح ونسمات الأبدية، والإحساس بالزمن المادي وأهمية الدقائق والساعات والحوادث البشرية التي تنتظرنا من بعد الصلاة كفيل أن يخنق الروح ويحبس عنها الإحساس بالأبدية والعيش فيها أثناء الصلاة.

كذلك فإن التسرع في الصلاة أو الملل يرفع عن الصلاة الصفة الروحانية ويجعلها حادثاً من ضمن الحوادث البشرية التي يمارسها الإنسان بعقله أو بجسده، كمقابلة رئيس أو تلاوة خطاب أو تناول الإفطار. لذلك ينبهنا المسيح بقوله: «صلُّوا ولا تملُّوا». **لذلك جيد للإنسان أن يصلي بروحه بهدوء وسلام ورزانة خمس دقائق أفضل من أن يصلي ساعة بتسرع أو ثلاث ساعات بملل!**

المسيح شريكنا في الصلاة:

+ المسيح يسمع الصلاة وهو في الحقيقة يشترك معنا فيها اشتراكاً فعلياً لأن بدون المسيح لا تدخل صلاتنا إلى الآب إطلاقاً. فبرحمة المسيح وحبه واتضاعه نتقدم بثقة إلى الآب مستندين فقط على الدم الإلهي المسفوك للمصالحة والتبرير، فالمسيح حاضر في الصلاة شخصياً وهو

الذي يرفعها إلى الآب باستحقاقاته، لذلك فالصلاة ليست من طرف واحد فقط؛ ولا قيمة لكل ما نصلي به إذا لم يقل المسيح آمين، أي يصدِّق عليها باستحقاقه لدى الآب مُزكِّياً ضعفنا لديه ومتشفعاً في ذنوبنا أمامه.

لذلك يلزم في الصلاة أن يكون الإنسان واعياً بهذه الشركة وأن يتأكد أنه ليس حراً في نفسه في دخوله للصلاة أو في استمراره فيها أو في الانتهاء منها. فهو من خلف المسيح يتقدم، وبفمه يتوسل، وبدمه يتشجع وببره يترجى، وبحبه يناجي الآب، كحبيب بروح الابن.

الروح القدس يصرخ في قلبنا:

+ الروح القدس يعلم ما هي الطلبات اللائقة والمقبولة لدى المسيح والآب، لذلك فالروح القدس هو المدبر الوحيد للصلاة، وهو يدبر زمانها ويختاره ويحث عليه، وهو الذي يلهم الكلام ويلقي الحرارة والغيرة في القلب، ويضفي روح التذلل والدموع والصراخ، وكأنه هو المحتاج إلى رحمة الآب وتدخُّل المسيح. لذلك يصرخ في قلبنا أثناء الصلاة نحو الآب والمسيح بأنَّات شديدة صادقة لا يستطيع أن يحولها الإنسان إلى نطق لأنها تفوق العقل بحرارتها وعمقها وإخلاصها. لذلك **فالتسليم للروح القدس معناه الديمومة في الصلاة بلا ملل وقبول حرارة وقوة للوقوف والركوع والسجود بلا شبع.**

وإذ يعرف الروح القدس ما هي حاجة الإنسان التقيٍ الخائف من الله، فإنه يدبر له ملء الصلاة وزمانها حتى تشبع روحه جداً بدون أن تتأثر بقية أعماله ومسئولياته، ففي أقل وقت يعطي أسخى العطايا وأجزلها

ويختم الصلاة في حينها المناسب. والصلاة إذا لم يسيطر الروح القدس عليها فإن الإنسان يخرج منها غير متعزي، ويعوزه السلام الداخلي وفرح القلب، وكأن صلاته لم تصل إلى أذني الله.

لمن يأتي الروح القدس؟

+ الروح القدس بسيط غاية البساطة، يلبي دعوة الإنسان في الحال إذا كانت دعوة الإنسان له بإخلاص وإيمان وبساطة. يكفي أن يناديه الإنسان كما ينادي طفلاً بسيطاً طاهراً فيسمع ويستجيب. وفي صلوات السواعي تعلمنا الأجبية أن نناديه هكذا: «هلم تفضل وحلّ فينا».

فالروح القدس يحل في القلب بالإيمان البسيط الواثق من رحمة الله. **وحلول الروح القدس لا يلازمه أي شعور جسدي.** وهو لا يرتاح إلى الصراخ ولا إلى التشويش ولا إلى القلب القاسي أو الظالم أو الحاقد أو الغاضب أو المتكبر، كما لا يرتاح في الإنسان الدنيوي أو محب الأشياء التي في العالم أو المائل إلى الجمال الزائل أو الطامح إلى أمجاد هذا الدهر.

الروح القدس صديق وشريك لصلاة الفقير الشاكر والغني المحب للفقراء، وهو مُعزّي المرؤوسين المضطهَدين والرؤساء الرحماء القلب، ونور للبؤساء وحياة الذين وضعوا أنفسهم لخدمة الإنجيل ومحبة الإخوة المساكين.

لذلك فكل من يتقدم للصلاة، عليه أن يتعلم أولاً كيف يُرضي الروح القدس، وأن يتجنب أي صفة تتعارض مع وداعة الروح القدس وقداسته وحبه، لئلا تصير صلاته بلا قوة تزكيها وترفعها إلى الله.

كما يلزم لمن يصلي أمام الله أن تكون له ثقة شديدة بمؤازرة الروح القدس الذي ولدنا في جرن المعمودية، وعليه أن يهتف به من عمق قلبه

مراراً ويطلبه لكي يؤهله للصلاة ويهبه قوة لتكميلها حسب مشيئة الآب والرب يسوع.

فالصلاة تهم الروح القدس أكثر مما تهمنا، لأن بالصلاة ينمو الإنسان الجديد الذي ولده الروح القدس فينا حتى يستنير به ويقبل مشيئة الله ويتعلم كيف ينفذها بالنعمة.

الصلاة دعوة إلهية ودعوة الخليقة المتغربة:

+ الصلاة الحقيقية كدخول إلى الله والوجود معه ليست فعلاً بشرياً صرفاً. **هي قبل كل شيء دعوه إلهية، ونحن فقط نستجيب إليها**. والله دائماً أبداً مستعد لمجيئنا ويدعونا باستمرار: «بسطتُ يدي طول النهار» (إش ٦٥:٢)، «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم» (مت ١١:٢٨)، «من يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً» (يو ٦:٣٧). وذلك لأن الله يُسرُّ بوجودنا معه؛ ولو أمكن بصفة دائمة!

والوجود مع الله وفي حضرته هو بمثابة دعوة الخليقة المتغربة إلى حضن خالقها، كعودة آدم إلى الفردوس. لذلك فالصلاة بحد ذاتها تكفير عن الساعات الطويلة التي نقضيها بعيداً عن الله في مشغوليات الأرض وهموم المعيشة الجسدية؛ فهي بمثابة توبة حقيقية إلى الله. فى القديم الله طرد آدم من حضرته وهوذا الآن يدعونا دائماً وطول النهار للدخول إليه والوجود معه. الله بعد أن ندخل إليه بالصلاة لا يشاء أن نخرج من لدنه أبداً؛ لذلك فالصلاة الناجحة الحقيقية التي حسب مسرة الله ينبغي أن تدوم سراً في القلب بحديث غير منطوق به بعد أن ينتهي وقوفنا أمامه، فنذهب لأعمالنا والصلاة لا تزال تعمل في قلوبنا.

كيف نعرض أمورنا الجسدية وأعمالنا في الصلاة:

+ ليست الصلاة فرصة لكي نطلب من الله ما يهم الجسد ويؤمِّن لنا معيشتنا ويسهِّل أعمالنا ويُنجح مسئولياتنا الدنيوية. فالصلاة فرصة للروح ومنفذ إلى الملكوت وطاقة منيرة نطلُّ منها على الحياة الأبدية التي سنؤخذ إليها بعد أن نودِّع هذا الجسد إلى التراب وتنتهي الأعمال والمسئوليات إلى غير رجعة. فكل شيء نهتم به على الأرض زائل؛ **أما الصلاة فليست زائلة. وكل دقيقة نقضيها في الصلاة هي من الأبدية وإليها.**

إذن يلزمنا أن نعرض أمورنا في الصلاة بما يناسب الروح: أي أن نعرض على الله في الصلاة كل أمورنا الجسدية وأعمالنا ومسئولياتنا واهتماماتنا، لكي يرفع عنها صورتها المائتة الزائلة ويُلبسها ثوباً إلهياً من رضا مشيئته فتتقدس.

نحن لا نطلب في الصلاة لكي تزيد أعمالنا وتنمو وتنجح مسئولياتنا فنكسب نحن من ورائها صيتاً ومجداً أرضياً وراحة وسلاماً جسدياً، ولكن نطلب إلى الله في الصلاة أن يرفع من كل أعمالنا روح الأنانية التي لمجد الذات البشرية ويلهمنا استقامة الفكر والقلب حتى لا نستخدم في أعمالنا المكر والغش والخداع والسرقة والكذب؛ وأن يؤازرنا بقوة روحية حتى لا نخاف من التهديد ولا نهرب من المخاطر ولا نحابي بالوجوه ولا نجزع من الخسارة أو الظلم؛ ولكي يعطينا اهتمام الروح فوق كل عمل وفوق كل مسئولية، فنزكِّي البار، ونمدح الاستقامة، ونكون أسخياءَ في العطاء، متمسكين بالصبر والمحبة أكثر من كل نجاح مادي.

وبهذا تكون الصلاة فرصة لتحويل اهتمامات الجسد إلى اهتمام الروح، وأداة لتصفية الأعمال والأفكار والمشيئات من شوائب الخطيئة؛ فتتقدس كل أعمالنا الجسدية مهما كانت حقيرة وبسيطة، وتصير لائقة أن تقدَّم إلى الله جنباً إلى جنب مع أعظم الخدمات الدينية الأخرى.

٣ - نتغير إلى تلك الصورة عينها

كثرة الصلاة تعمل في كيان الإنسان الداخلي:

+ كثرة الصلاة واستمرارها حسب ساعات النهار والليل المفروزة للصلاة حسب ترتيب البيعة، مضافاً إليها ما يجود به الروح القدس متواتراً في كل وقت مناسب وغير مناسب؛ تُعتبر **واسطة فعَّالة «لتغيير شكلنا»** (راجع رو١٢: ٢)، **«وتجديد ذهننا»** (راجع أف٤: ٢٣)؛ هذه حقيقة يعرفها أولاد سر المسيح، لأن كثرة الصلاة في النهار والليل، كأن يصلي الإنسان عشرين مرة أو ثلاثين، كل مرة يجود به الروح القدس من حديث وحب ولو لمدة خمس دقائق أو دقيقة واحدة، هذا كفيل أن **يغيِّر في كياننا العقلي والقلبي وفي طبائعنا وأخلاقنا تغييراً جوهرياً لا نلحظه نحن بسهولة ولكن يستطيع أي إنسان قريب منا أن يراه فينا.**

وذلك لأن كثرة الشخوص نحو المسيح في الصلاة يطبع صورة المسيح السرية غير المنظورة في كياننا الداخلي: أي صفاته وحلاوته الفائقة ونور وجهه.

بولس الرسول يكشف لنا عن هذا الاختبار بقوله: «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غل٤: ١٩). **لأن كثرة الكلام مع المسيح في الصلاة إليه يجعلنا نقبل انطباع صورة المسيح في عمقنا دون أن ندري**[1]؛ هذه الحقيقة نراها واضحة في الأجسام المشعة،

---

(١) «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٨)

فالجسم غير المشع إذا تعرض إلى جسم مشع فإنه يتقبل منه الإشعاع بقدر ما يتعرض له من الزمن، فكم يكون تأثيرنا باقترابنا من مصدر النور الموجود في العالم كله ومصدر الإشعاع الذي تستمد منه جميع الأجسام إشعاعها سواء ما كان منها في السموات أو على الأرض، يسوع المسيح نور الآب ونور العالم!!

والمسيح نفسه يدعونا أن نكون دائماً قريبين منه!! حتى لا تشملنا ظلمة العالم وتطغى على بصيرتنا فنَعْمَى عن الحق الإلهي. «سيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام، أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة!!» (يو١٢: ٣٥، ٨: ١٢).

أما الذين يهملون الصلاة بإرادتهم فإنهم يبتعدون عن الحق بالرغم عنهم، فيسيرون على حافة الهاوية في مواجهة منطقة الشك مباشرة أي «الظلمة الخارجية» (مت٨: ١٢، ٢٥: ٣٠)، فيكونون معرَّضين للتجديف دون أن ينتبهوا. وأقل عثرة كفيلة أن تلقيهم في هاوية اليأس ومعاداة الله. والعكس أيضاً صحيح، **فالملازمون للصلاة بكثرة يصبح إيمانهم أشد رسوخاً من الجبال**، ليس بالادعاء أو بمجرد الكلام أو التباهي، ولكن سيرة حياتهم تنطق بهذا الحق وصبرهم وفرحهم بالضيقات واحتمالهم المدهش للآلام والمظالم آية تنطق برصانة إيمانهم، هؤلاء لا تدركهم الظلمة حسب وعد الرب.

فكثرة الصلوات تعمل في كيان الإنسان الداخلي عملاً إلهياً يؤهله أخيراً لقبول قوة النعمة كتمهيد للاتحاد السري الدائم بالرب!!

صلاة الشركة والاتحاد مع الرب:

+ الصلاة في البدء تكون هي الباب الذي ندخل منه إلى الرب، والباب الذي يدخل الرب منه إلينا حينما يقرع ضمائرنا متواتراً لنقبله شريكاً أبدياً لحياة أبدية.

وهنا، في البدء، تكون الصلاة تحتاج إلى قَسْر كثير لطبيعة الجسد والذات الترابية التي لا تود أن تخسر شيئاً من لذة الدنيا في سبيل حياة أخرى ليست للجسد وليست للذات مطلقاً.

ثم إذا استمرت الصلاة، وإذا أُخضعت الطبيعة الجسدية للروح فصارت الصلاة كاسحة لكل تواني أو مماطلة أو تهرُّب أو عناد من قِبَل الجسد، يكون ذلك تأكيداً لغلبة الروح وسيادة الله؛ وهنا **تصبح الصلاة علامة على حصول شركة ناجحة مع الرب وبداية اتحاد معه في المشيئة والمسرة والطاعة للآب. وعلامة ذلك: حب يستهين بالآلام حتى الموت!!**

وصلاة الشركة أو الإتحاد لا تُحسب من أعمال هذا الدهر، ولا وقتها يُحسب من ساعات هذا الزمان، بل تصير **عبارة عن تجلِّيات خاطفة ينعم فيها الإنسان بملكوت الله مسبقاً**، ويحس إحساساً روحانياً يقينياً بالرب يسوع كحياة أبدية تنساب في كل كيانه، وكنور يشرق في الظلمة، ظلمة الغرائز ومعاثر الدنيا وشرور الإنسان وطغيان الشيطان.

مثل هذه اللحظات السماوية تكون في الواقع هي الساعات الإلهية التي قال عنها الرب إنه «تأتى ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون»!! (يو ٥: ٢٥) وقوله: **«تأتي ساعة»**

تلميح إلى أوقات الأبدية التي تحمل إنعامات الله التي هي بعينها حياة الأبد المخفية وراء حجاب الخطيئة المظلم. وقوله: «**هي الآن**» تصريح أكيد على اقتحام الأبدية لهذا الحجاب وانسكاب نور المسيح في قلب الإنسان **أثناء الصلاة** رغم العالم وشيطان الظلمة ومعاكسات الجسد.

هذه في الواقع صلاة القيامة ولحظات الأبدية وساعة المسيح التي يمارسها أولاد سر المسيح الذين يسمعون صوته فلا يقسُّون قلوبهم بل ينهضون للصلاة والتسبيح في كل وقت وبلا ملل.

الصلاة أقوى من الخطيئة:

+ الخطيئة تستنفد قوى الإنسان الجسدية والنفسية ولكن لا تستنفد قوة رحمة الله ومحبته، «فالله أقوى من الإنسان» (١كو١: ٢٥)، ولا يزال دائماً أبداً محباً للإنسان قبل أن يخطئ وأثناء ما يخطئ وبعد أن يخطئ.

الصلاة كاتصال بالله، هي اتصال برحمته الغافرة لأشد الذنوب وأكثرها. وهي بحد ذاتها إعلان ندم وتوبة. والله دائماً قابلٌ التائبين إليه لأنه لا يشاء موت الخاطئ بل يشاء حياته برجوعه.

وإن كانت الخطيئة في الحقيقة تحطم جزءاً كبيراً من القوة التي يتحصل عليها الإنسان من الصلاة، لكن الخطيئة لا يمكن أن تحطم كل ما يحصل عليه الإنسان في الصلاة!! فإذا أخطأ الإنسان بعد أن يكون قد صلى – مهما كان الخطأ – فإنه يتبقى رصيد قوة الصلاة! **فالصلاة غالبة في النهاية**، ومن بعد كل الخطايا تتبقى قوة مُذخرة في قلب الإنسان ووجدانه من الصلاة التي يكون قد رفعها لله بقلب مخلص

وضمير نادم وتوبة.

وهكذا بالصلوات المتواترة يتحصل الإنسان على رصيد كبير من القوة يكفي في النهاية ليس فقط أن يلغي كل الخطايا فقط بل وأيضاً أن يطهِّر الضمير من الإحساس المؤلم بها إذ تحل بهجة المغفرة والخلاص عوض حزن الخطيئة وأوجاعها. فالصلاة شفاء للنفس!

ولكن هذا لا يتم في يوم أو سنة ولكن على مدى السنين الكثيرة، حينما تكون الصلاة تعمل فعلها البطيء المستمر المتراكم، المحطِّم لروح الخطيئة والغاسل للضمير شيئاً فشيئاً، إلى أن ينضج وجدان الصلاة فينبثق فجأة إشراق نور الخلاص في النفس مع فرح يتسحب على كل كيان الإنسان حتى يشمل كل الحياة. وهذا النور الداخلي وهذا الإشراق وإن كان يظهر أخيراً كأنه فجأة، إلا أنه في الحقيقة عمل السنين الطويلة من آلاف الصلوات.

الصلاة انفعال بالمحبة الالهية وعلامة المحبة المتبادلة مع الله:

+ الصلاة مهما كانت تذللية ومهما أحس الإنسان أثناءها بعدم استحقاقه الحديث مع الله بسبب كثرة تعدياته وذنوبه ودناءاته، فهي فوق كل هذا **علامة محبة متبادلة مع الله، فمحبة الله ظهرت في جذب قلب الإنسان للصلاة والوقوف في حضرته، ومحبة الإنسان ظهرت في تقديم القلب لله ولو بصورته الحزينة الآثمة النادمة.**

فالصلاة هي فاعلية المحبة، تبدأ مكتومة صعبٌ التعبير عنها بكلمات محبة وإنما يعبِّر الإنسان عنها بكلمات ندم واستغفار وتوبة، وحينما تنضج الصلاة تكون علامة نضج المحبة، فلا يجد الإنسان حرجاً في التعبير عن

محبته بكلام المحبة!

الله محبة - كل المحبة - وأصل ينبوع كل محبة. فإذا لم ينفعل قلب الإنسان بالمحبة الإلهية فإنه يظل بعيداً عن الله ومحروماً من طبيعته المنيرة السخية.

أولى علامات انفعال قلب الإنسان بالمحبة الإلهية تكون بالاتجاه المباشر نحو الله للحديث معه، وهذه هي الصلاة. فالصلاة أول برهان لانسكاب محبة الله في قلب الإنسان.

وإن كان قلب الإنسان يشتغل عند بدء تعرُّفه على الصلاة بالاعتراف بخطيئته، فذلك لأن المحبة الإلهية — الداعية والجاذبة للقلب - طاهرة جداً لا تطيق الخطيئة. لذلك، **فأول انفعال بالمحبة يكون صلاة استغفار وتوبة للتطهير إعداداً لتبادل المحبة الإلهية من قلب طاهر، فصلاة الدموع والندامة والحزن العاصر للقلب هي انفعال بالحب وهي أيضاً تطهير للقلب لقبول «المحب» نفسه.**

يسوع المسيح يدعونا للتوبة لنكون مستحقين لملكوت السموات، في الصلاة إذ يكون المسيح نفسه حاضراً، فملكوت السموات يكون قريباً جداً منا. لذلك **فالإحساس بالتوبة يزداد أثناء الصلاة** بصورة غامرة حتى أن الإنسان يكون مستعداً للتكفير عن خطاياه بالتضحية بكل شيء عنده حتى الحياة نفسها. **والسر في ذلك هو قوة المحبة التي يسكبها المسيح في قلبنا أثناء الصلاة** بصورة خفية تزيد من حرارة عبادتنا لدرجة مذهلة، لذلك يقول سليمان الحكيم إن «المحبة قوية كالموت» (نش٨:٦)

فالصلاة فرصة لدى الله لسكب روح المحبة في قلب الإنسان، والمحبة من ذاتها تشتعل في القلب وتعمل عملها: فهي **أولاً** تفضح الخطيئة، و**ثانياً** تدينها، و**ثالثاً** تغفرها. والإنسان عندما يقبل هذه الأفعال أثناء الصلاة يقبل المحبة. فالصلاة قبول لروح المحبة ووسيلة للخضوع لتأثيراتها المطهِّرة.

الصلاة فعل طاعة:

+ الخضوع لروح المحبة وتأثيراتها على القلب أثناء الصلاة للتوبة هو أول وأهم تعبير عن طاعة الإنسان لله، أي طاعة المحبة!

أي أن مبادرة الإنسان بالصلاة عند أول هاتف قلبي هو في الحقيقة استجابة لصوت المحبة بطاعة سهلة: **فالمحبة الإلهية تنادي الإنسان للصلاة، والقلب يطيع النداء**، وعلامة صدق الصلاة كطاعة لنداء المحبة هي أن يتخللها توبة وندم عن كل خطيئة مهما كانت صغيرة، لأن **التوبة هي أول مفاعيل المحبة.**

فالصلاة المخلصة بحد ذاتها هي طاعة لله. والتمسك بالصلاة والاستجابة السريعة لمواعيدها ومتطلباتها كلها هي بعينها التوفر على طاعة الله. والإنسان الذي يتعلم كل يوم كيف يصلي بإخلاص أكثر، هو إنسان يُخلص لطاعة الله.

وباب الطاعة لله:

+ الذي يريد أن يبدأ يتعلم الطاعة لصوت الله عليه أن يبدأ بالاستجابة السريعة لروح الصلاة عندما ينادي الله بها في قلب الإنسان، لأنه بهذا تصير الطاعة لله بعد ذلك سهلة لديه حتى في أصعب الأمور

وأشقّها.

والذي لا يتعلم طاعة الله بالصلاة المستمرة أولاً، يستحيل عليه أن يطيع الله طاعة سريعة سهلة راضية في الأمور الصعبة. طاعة صوت الله بالصلاة القلبية المستمرة تعطي فرصة لتقوية الروح وتغليبها على إغراءات الجسد وراحاته ومسراته. وشيئاً فشيئاً لا يصير للجسد على الإنسان سلطان البتة بل يكون خضوعه لنداء الله محتماً.

فالذي لا يتعلم الطاعة لله بالصلاة، يظن أن له قدرة على طاعة الله في أي وقت، ولكن عندما يفاجأ بصوت الله للبذل والتضحية ينبري له الجسد غير المخضَع ويتعلل بعلل كاذبة وهمية فيفلت من صوت الله، وينحاز الإنسان للجسد أخيراً خاسراً للنعمة ويمضي حزيناً وهو مطأطئ الرأس.

الطاعة لله من أشق متطلبات العلاقة التي تربط الإنسان بالله وقد سقط في اختبارها أحياناً أعظم الأنبياء والقديسين قديماً. ولكن الذي يتدرب على الخضوع لصوت الله كل يوم بالصلاة، يسهل عليه قبول روح الطاعة بتلقائية مريحة، لأنه يتعلم في الصلاة روح التسليم لقيادة الله وتدبير نعمته شيئاً فشيئاً حتى تصير الطاعة جزءاً لا يتجزأ من تفكيره وشعوره وإرادته العملية.

المسيح نفسه له - المجد - قيل عنه أنه **تعلم الطاعة!!** مع أنه ابن الله: إن المسيح «مع كونه ابناً، تعلم الطاعة!!» (عب٥:٨).

الصلاة تهب الإنسان قدرة التسليم لإرادة الله:

فالإنسان في الصلاة يتقبل روح التسليم لله. وإذ يريد الله أن يُكمِّله في الطاعة يُدخله الآلام. وحينما يستجيب الإنسان للآلام التي يجعلها الله عليه، يبرهن الإنسان أنه قد اكتملت طاعته لله، وهذا يكون برهاناً لاكتمال خلاصه. إن المسيح «**مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كُمِّلَ، صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي**» (عب٥: ٨، ٩). فالصلاة باب الطاعة، فيها يُمنح الإنسان روح التسليم. أما احتمال الآلام بفرح فهو كمال الطاعة لله، وهذا ثمرة الصلاة!

فالإنسان الذي يحب الصلاة ويُخلِص لها هو الذي يستطيع أن يَرضى بالآلام ويحبها أيضاً. أما الإنسان الذي يكره الصلاة فهو يكره الآلام بالضرورة، وبهذا يبرهن أنه خال تماماً من الطاعة لله، وبالتالي خالٍ من المحبة الإلهية وعادم الاستجابة لمفاعيلها.

+ **روح التسليم لله الذي نقبله أثناء الصلوات هو في الواقع انهزام لإرادة الإنسان**، وهو لا يأتينا سهلاً بل يكون نتيجة صراع طويل بين الذات البشرية بآمالها الدنيوية وآمالها الدينية الكاذبة وبين إرادة الله التي تشاء خلاص الإنسان فقط!! ولا يتم تحطيم إرادة الذات إلا بمعاكسات مستمرة من جهة الله تنغِّص سلام الذات الكاذب وتهدم أبراجها التي تبنيها لمجدها الخاص أمام الناس.

وفي أثناء هذا الصراع، **إذا حدث أن توقف الإنسان عن الصلاة فإنه يفقد تمسكه وخضوعه لإرادة الله** ويختفي عنه هدف الحياة والجهاد أي خلاصه، فينحاز الإنسان إلى ذاته ويبدأ يتذمر على التجارب التي **يرسلها**

الله لخلاصه. أما الخسارات والإهانات التي يرسلها إليه الله بحكمته وعنايته حتى ينعتق من المجد الكاذب فإنه يرفضها وتصير مُرَّة جداً في حلقه حتى إنه يشتهي الموت أفضل من أن يرى ذاته مُهانة أمام الناس والعالم لأن ذاته تكون عنده أعظم من الله الذي هو واهب الحياة!

أما الإنسان الذي يلتجئ إلى الصلاة ويتمسك بها، فإنه يرى في **الآلام والخسارات والإهانات تنازلاً من الله لتهذيبه، وعنايةً منه لتكميل معجزة اتضاع الإنسان.** وبدوام الصلاة، يُعطَى الإنسان في النهاية روح التسليم والخضوع لمشيئة الله فتنفتح بصيرته بالنعمة ليرى كيف أن **خلاصه يتوقف فعلاً على قبوله الآلام والخسارات والأمراض وكل مذلة.** وحينئذ ينحاز إلى إرادة الله أكثر فأكثر حتى تنهزم إرادته كلياً وتُلغَى مشيئته، وتصبح كل مسرته في تكميل إرادة الله فقط، ويُسرُّ بها سروراً عظيماً حتى في أشد حالات الألم.

فالصلاة تهب للإنسان قدرة الانحياز لإرادة الله والتسليم له بفرح.

اكتمال الطاعة يصل بالإنسان إلى التضحية:

+ حينما تنضج الصلاة تنضج الطاعة، واكتمال الطاعة هو بعينه اكتمال المحبة، وحينما يصير قلب الإنسان حساساً لمحبة المسيح متأثراً بها مستجيباً لها مطيعاً لها، يؤهَّل أن يأخذ سرَّها، وسر محبة المسيح هو التضحية.

أي أن الإنسان حينما يستقر في صلواته ويحبها فإنه يدخل في شركة روحية مع المسيح يكون من مؤهلاتها أن يبدأ قلب الإنسان يتوجع على

الخطاة والمظلومين والفقراء أي أن الإنسان يصير له قلب كقلب المسيح.

فالصلاة الدائمة الأمينة هي مظهر لحياة الشركة مع المسيح وتحمل رسالتها وجوهرها أيضاً.

فالذي يثابر على الصلاة لا يلبث طويلاً حتى يشتعل قلبه برسالة المسيح نفسها؛ أي خلاص الناس، ومحبة الخطاة وبذل الذات لراحة أي متعب، والافتقار الإرادي في سبيل غنى النفوس، وحمل الصليب بافتخار، كعلامة حب صادق.

فالصلاة تبدأ بمقابلة المسيح، ثم حبه، ثم الشركة فيه، ثم الاشتراك الفعلي في حياته وصليبه.

فالذي يشتهي أن يحمل رسالة المسيح ويكرز بآلامه وصليبه، عليه أن يتوفر أولاً على الصلوات بكل قلبه حتى يقبل مشيئته قبل أن يخدم رسالته.

٤ - الصلاة لأجل الآخرين

الصلاة سند الكرازة:

+ حينما نحس بفرح الشركة مع المسيح في الصلاة ونتكرم بحمل الصليب، لا يكون ذلك معناه بلوغ الصلاة نهايتها، بل يكون في الواقع دعوة للبدء في الدخول في سر الصلاة الفائق للعقل البشري **حيث تصير مصدر قوة للآخرين!!**

فالذي يُستأمَن على قلب المسيح ورسالته للخطاة يأخذ قوة من المسيح ليكمل عمل المسيح وينفذ حبه.

فالذي يحب الخطاة كالمسيح ويعطف على الفقراء والمرضى والمتألمين، هو مستعد للبذل من أجلهم، وهو الذي يستطيع أن يصلي من أجلهم ليتعافوا ويتعزوا ويتقووا.

فالصلاة حينما تبلغ درجة الحب بروح المثابرة والطاعة تؤهِّل للشركة مع المسيح، تصير قوية قادرة في مفعولها وتصبح مصدر معونة وتعزية للغير، بل وتقتدر على غفران خطايا الآخرين. لأن الإنسان، وهو متحد بالمسيح في الصلاة يصبح قادراً على أن يضع نفسه موضع الخاطئ باستعداد حمل خطيئته وكل ضعفه متحملاً عنه كل تأديب وعقاب، فيصبح حينئذ وفي نفس الوقت قادراً بواسطة استعداده هذا باتحاده بالمسيح أن يطلب المغفرة للآخرين فيغفر لهم!!

وهنا تبدأ الصلاة تحتل مكانة في غاية الأهمية بالنسبة لخلاص الآخرين، والتكفير عن خطايا الغير، وانسكاب رحمة الله على المبتعدين

عن الله لسبب الجهل وعدم المعرفة.

وبذلك تكون الصلاة هي سند الكرازة والقوة السرية التي تسبق فتعدُّ القلوب لقبول المغفرة والخلاص.

وواحد يصلي في مخدعه على انفراد بلجاجة، يستطيع أن يتسبب في خلاص ألف من النفوس باتحاده بالمسيح.

الله يستخدم صلواتنا لخلاص الآخرين:

+ إذن، فلنعلم تماماً أنه حينما يجذبنا الله إلى الصلاة لا يضع خلاصنا فقط أمام عينيه بل يريد أن يستخدم صلواتنا لخلاص الآخرين أيضاً، لذلك فمهمة الصلاة تبدو كريمة وثمينة جداً في عيني الله.

فالإنسان الذي يجتهد في الصلاة وينمو بسرعة في روح التسليم والطاعة لإرادة الله، يصير جندياً صالحاً ليسوع المسيح، فيدعوه الرب بنفسه كل يوم ويدربه على الوقوف أمامه ليسأل من أجل الآخرين فيأخذ، وهو عتيد سريعاً أن ينال من الرب قوة يخلِّص بها كثيرين ويرد بها نفوساً من طريق الموت ويعيدها إلى قلب الله.

+ إن تقدُّمنا في الصلاة معناه نمو في دالة الحب. وهذا يكون نتيجة مباشرة لرضا الله عنا وقبوله لضعفنا. وهذا بالأكثر يرجع إلى اتساع أفق بشريتنا، وتعرُّفنا على واجبنا الحتمي نحو الآخرين، ومسئوليتنا الروحية تجاه الخطاة والضعفاء في الإيمان والحب والمتألمين والمنسحقين والخدام والكارزين.

+ درجات الصلاة الأخيرة المنطلقة نحو الكمال علامتها كثرة الدموع والتوسل من أجل الآخرين. فكأنما تقدُّمنا في الصلاة هو في الواقع هبة

ممنوحة لحساب إخوتنا الناقصين والضعفاء في الصلاة «صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفَوا» (يع٥:١٦).

وحينما قال الرسول يعقوب أن ندعو قسوس الكنيسة ليصلُّوا على المريض والمتألم لكي يُشفَى، فلأن الكاهن مفروض أن يكون **أكثر الناس نعمة وتقدماً في الصلاة صائراً بذلك مُفرَزاً للصلاة من أجل الآخرين!**

+ ونحن لا نستطيع أن نتقدم في درجات الصلاة ولا نُمنَح دالة حقيقية مع الله ولا نُوهَب الدموع **إلا بقدر تقدمنا في مشاركة المتألمين والمُذلِّين** «اذكروا المقيَّدين كأنكم مُقيَّدون معهم، والمذلِّين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد» (عب١٣:٣).

أي أن تقدمنا في العشرة مع الله المتركزة في الصلاة تتوقف على تقدمنا وتعمقنا في التعرف على أثقال الناس وتحمُّلنا إياها معهم بنصيب وافر.

شركتنا مع المسيح تعني شركتنا في آلام الناس:

+ نحن لا نستمد شركتنا مع المتألمين والمرضى والمذلين، ولا نقوى على تحمُّل أثقال الناس اعتماداً على عواطفنا البشرية أو بدافع الانفعال المؤقت أو بُغْية المديح وإظهار الذات، لأن مثل هذه المشاركة مآلها إلى النقصان سريعاً ثم الزوال. ولكن بمداومة الصلاة النقية الصادقة، **نحن نقبل هذه المشاعر كموهبة من الله** تجعلنا قادرين ليس فقط أن ندوم في الشركة مع هؤلاء، بل وأيضاً نزداد فيها إلى الدرجة التي فيها لا نحتمل أن نعيش بدونهم **ولا نجد لنا راحة إلا في تقاسمنا معهم أتعابهم وآلامهم**. وسر هذه الموهبة كائن في شركتنا مع المسيح واتحادنا بطبيعته

وصفاته الإلهية بمعنى أنه هو بنفسه يكون «العامل فينا أن نريد» (في٢: ١٣).

لذلك فشركتنا في آلام الناس وشركتنا مع المسيح، كل منهما يتوقف على الآخر بدرجة قصوى أو جوهرية! حتى أن حمل صليب المسيح يعني في الحال شركة في حمل صليب الناس بدون شروط وإلي النهاية.

+ **إن توقُّف الدالة مع المسيح في الصلاة يكشف مرضاً أصاب الصلاة في الصميم.** وهذا بالنسبة للذين يعملون ويخدمون ويُصلُّون من أجل الآخرين ويشاركون في تحمُّل أثقال الناس، معناه: خسارة أكيدة وفشل يبدأ بالفتور والضعف والتغصُّب على أداء الواجبات التي كانت لذيذة سابقاً ثم ينتهي بالإهمال ثم التهرب، ويُختَم بالإحجام والجحود! **لأن بدون المسيح يستحيل الاستمرار في خدمة الآخرين خدمة ناجحة مثمرة دائمة، والمسيح لا نحصل عليه إلا في الصلاة!!**

الاهتمام بالذات في الصلاة يلوث الصلاة:

+ **تبلغ الصلاة درجة نقاوتها الأصيلة حينما ننسى ذواتنا فيها نسياناً كلياً ونتناساها عن قصد وتعمُّد ورضا**، وننشغل فقط بأعواز الآخرين وأتعابهم وخلاصهم، لأن درجة النقاوة الكاملة للصلاة هي مُعادِلة لدرجة الحب الكامل، والمحبة تبلغ صحتها عندما لا تطلب ما لذاتها «المحبة لا تطلب ما لنفسها» (١كو١٣: ٥). أي أن التفكر في الذات والاهتمام بطلباتها سواء كانت مادية أو روحية هو نقص في الحب وبالتالي هو نقص في الصلاة. والسبب هو نقص في صحة التعرف والاتصال بالمسيح الذي قال: «نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي»

(يو٦: ٣٨)، «ليس لأحد حبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥: ١٣)، «أحبوا أعداءكم» (مت٥: ٤٤).

الاهتمام بالذات في الصلاة يلوث الصلاة! ونسيان الذات يبدأ تعمداً، وإذ نستمر فيه بإخلاص أمام الله، يهبه لنا كعطية فلا نعود «ننظر كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً» (في٢: ٤).

+ حينما نهمل ذواتنا تماماً في الصلاة ونكف عن جميع طلباتنا الخاصة مكتفين ومسرورين فقط بالسؤال والتوسل والبذل من أجل الآخرين، حينئذ يبدأ الله في أن يهتم هو بنا ويتولى تدبير جميع شئون حياتنا المادية والروحية حتى أصغر الأمور.

أي أنه حينما نهتم نحن بالآخرين يهتم الله بنا، وحينما نقتصر على السؤال والتوسل من أجل الآخرين فقط، يعطينا الله ما نحتاجه بدون سؤال وتوسل!

وهكذا تنكشف خطة الخلاص التي سلمها المسيح لتلاميذه: «تلمذوا جميع الأمم» (مت٢٨: ١٩). فالإنسان الذي ينفتح قلبه لله يكفيه الله ولا ينبغي أن يظل يسأل من أجل نفسه. **أما الذي لم ينفتح قلبه بعد لله فيلزمه قلوب مُحبة تنفتح أمام الله من أجله لكي يعطيه الله الانفتاح على الآخرين، بناء على توسل إخوته وصلاتهم!**

أي أن الإنسان الذي تعرَّف على الله وأحبه يصبح مسئولاً أمام الله عن أخيه الذي لم ينفتح قلبه لله بعد، **وهكذا يتصل الله بالخطاة المبتعدين**

عنه بواسطة صلاة الذين أحبوا الله القريبين إليه!

فالأتقياء الأمناء للمسيح هم على الأرض بمثابة سفراء حقيقيين عن المسيح يصالحون الله مع الناس ويصالحون الناس مع الله بواسطة صلواتهم وتوسلاتهم واستعداد بذلهم «كسفراء عن المسيح نطلب عن المسيح، تصالحوا مع الله!» (٢كو٥: ٢٠).

+ في كثير من الأحوال يتعذر الاقتراب إلى الأشرار والخطاة، إما بسبب شراستهم وإما بسبب خجلهم. ولكن بالصلاة نعبر هذه الهوة التي تفصلنا عنهم فنتخطى شراستهم ونتفادى خجلهم وتمنُّعهم في الحديث معنا، لأن بالصلاة نستطيع أن نقترب إلى قلوبهم سراً دون أن يشعروا، بل وندخل فيها ونئن داخلها، كأننا نحن الخطاة وكأننا نحن الأشرار، كل ذلك قبل أن يعرفونا أو يتحدثوا إلينا. فإذا رفعنا صلاة من أجل قلوبهم وصرخنا إلى الله حاملين آثامهم وشرورهم فحينئذ يسمعهم الله بواسطتنا فتنعطف قلوبهم نحو الله بالرغم من تمرد طبيعتهم، وتغزو الندامة ضمائرهم، وتبدو التوبة ملحَّة عليهم، حتى إنهم يبادرون إلى الله وإلينا يطلبون عوننا.

فالصلاة قوة جاذبة تجذب الإنسان إلى الإنسان بواسطة الروح القدس الذي يجذب الجميع ويجعل الاثنين واحداً في المسيح.

نحن في أشد الحاجة إلى من يصلي لأجلنا:

+ ليس الخطاة فقط والأشرار هم في حاجة إلى الصلوات ليتوبوا ويُقبلوا إلى معرفة الله، بل وأنا أيضاً وأنت في أشد الحاجة إلى صلوات الآخرين. لأننا كثيراً ما نتلاهى عن فحص نفوسنا وضمائرنا فتتخلف

خطايا وآثام قبيحة، وتبيت وتعشش في قلوبنا وأفكارنا، ونتعامى عنها في الاعتراف، ونُحجم عن كشفها سنين طويلة، فتكون سبباً في إضعاف حياتنا الروحية - فتظل أرواحنا مريضة هزيلة ليس فيها قوة الله ولا تعمل فيها النعمة بوضوح، نتكلم عن خطايا الآخرين ونصلي من أجل الناس والخطيئة رابضة في أعضائنا، وأفكارنا ملوثة، وغرائزنا مُسيَّبة، وذواتنا مدللة.

نحن في أشد الحاجة إلى من يصلي من أجلنا بحرارة الروح ليكشف لنا الروح خطايانا المخبوءة والمتخلفة في قلوبنا، حتى تتحرك ضمائرنا بالندم والتوبة ونتنقى من ضعفاتنا أكثر فأكثر لنكون أهلاً لحلول قوة الله فينا وفي صلواتنا ونتقبل فعل النعمة جهاراً.

صلوات الآخرين من أجلنا حينما تكون موجهة إلينا توجيهاً سليماً قوياً، فهي تكون مبكّتة جداً ومنبهة كسهام منيرة ملتهبة تنير ظلمة ضمائرنا وتلهب قلوبنا لطلب التوبة والنجاة. صلوات الآخرين حينما تكون حارة تصبح عاملاً من أهم العوامل لتجديد حياة خدام الله وإمدادهم بحرارة إضافية.

+ حتى القديسون والأنبياء والرسل كانوا هم أيضاً في حاجة إلى صلوات الآخرين، فبطرس الرسول لولا صلوات المسيح عنه لسقط في الجحود إلى الأبد وفني إيمانه نهائياً، ولولا صلوات الكنيسة عنه بلجاجة لانتهت حياته على يد هيرودس وهو في السجن. كذلك بولس الرسول إذ كان يشعر بضرورة الصلاة عنه لينفتح فمه بكلام الروح ولاستمرار

الخدمة، لذلك لم يكف عن أن يسأل كل كنيسة أن تصلي من أجله.

فالقديس والنبي أو الرسول لا تسعفه صلاته من أجل نفسه أو من أجل خدمته، فهو في حاجة إلى مزيد من صلوات الآخرين عنه لتنسكب عليه قوة الله أكثر ولتجد النعمة فيه مداخل جديدة.

وهكذا تبدو صلاة الآخرين مصدر قوة للخادم والكارز كضرورة لا غنى عنها، فبقدر ما تزداد صلوات الآخرين تتقوى الخدمة، وبقدر استمرار الركب المنحنية عنه تدوم حرارته في الخدمة وتصبح كلماته فعَّالة بالروح.

أنظروا خطورة الصلاة عن الآخرين:

+ الصلاة من حيث ضرورتها تُعتبر في البداية عملاً ضرورياً. ففي إطارها الخارجي نحس أنها «عمل أمانة»، أمانة العبد نحو سيده أو خالقه، فهو إن كان يشكر أو يسبِّح أو يمجد فإنه يعمل ذلك رداً على ما وهبه له الله، فمن يديه يأخذ ويعطيه. لذلك فالتوقف عن الصلاة أمر خطر! وهل ممكن أن يكون العبد غير أمين ويبقى في البيت؟

أما من حيث جوهرها فبالتقدم في الصلاة تنكشف حقيقتها أكثر عندما نحس أنها أصبحت تعبيراً عن الصلة الحيوية التي تربط الإنسان بإلهه!! فالإنسان الحي بالله هو الذي يصلي، والإنسان الذي يهمل الصلاة هو يحيا بذاته أو من نفسه فقط، فهو خالٍ من علامات الله فيه.

أي أن الصلاة في البداية هي «أمانة العبد» ثم تظهر أنها «علامة حياة أبدية»، ولكن بتقدم الإنسان في علاقاته مع الله أكثر يشعر بشيء جديد هام وهو أن الصلاة ابتدأت تعبِّر عن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان،

وذلك عندما يختبر بنفسه أن الصلاة أصبحت واسطة قوة وحياة للآخرين أيضاً. فالذي يصلي من أجل الآخرين يُقوِّي ويحيي نفوساً مائتة أو كانت سائرة في طريق الموت! كقول الرب: «أقيموا موتى» (مت١٠:٨).

وهنا تبدأ الصلاة تظهر أنها «أمانة ومسئولية خطيرة» لأنه إذا توقف الإنسان لأي سبب عن الصلاة من أجل الخطاة الذين يعيشون حوله وأهمل التوسل واللجاجة عنهم فإنهم سيموتون! وهنا يصل الإهمال في الصلاة إلى أخطر نتائجه، إذ يموت الخاطئ في خطيئته بسبب عدم تنبيه روحه بالصلاة عنه؛ وحينئذ لا يمكن أن يتبرأ الذي أهمل الصلاة عنه لكونه ضيَّع فرصة الحياة على الخاطئ التي جعلها الله في أمانته. أنظروا خطورة الصلاة!

أي أن الصلاة وإن بدت ضرورية في بدء العشرة مع الله، ثم وإن بدت جوهرية في الذي تقدم في الروح، فهي للذين ٱستؤمنوا على سر التوسل والشفاعة من أجل الآخرين تصبح من أخطر الأمانات التي يسلمها الله للإنسان!

فالإنسان الذي أحس بضرورة الصلاة من أجل الخطاة وأهمل الصلاة عنهم، فهو إنما يشترك في خطية عظيمة ويتحمل مسئولية موتهم، «أما أنا فحاشا لي أن أُخطئ إلى الرب فأكفُّ عن الصلاة من أجلكم» (١صم ١٢:٢٣).

لأن الذي أُعطي قوة أن يُحيي الميت ولا يُحيه فهو مسئول عن موته، والصلاة هي قوة الحياة من الموت باعتبار أن الخطيئة هي الموت، والصلاة

هي التشفع لغفران الخطايا: «وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تُغفر له»!! (يع ٥:‏١٥).

فنحن مدعوون للصلاة والتوسل من أجل الخطاة ليس فقط لكي نُحيي الخطاة من موت الخطية، بل وأيضاً لكي لا نموت نحن بجريرتهم أيضاً. فالصلاة التي نقدمها عن الخطاة في لجاجة وتوسل وتشفُّع ودموع تبرِّئنا من دم الخطاة وتفدينا من الموت بسببهم.

+ وهكذا فالصلاة التشفعية من أجل الخطاة ترفع نسبة الكارزين على الأرض وتضع مسئولية خلاص الإنسان على أخيه الإنسان: «يا ابن آدم، قد جعلتُك رقيباً لبيت إسرائيل» (حز٣:‏١٧)، هكذا جُعل الإنسان كارزاً بالخلاص حينما **يسكب نفسه في الصلاة من أجل فئات الخطاة القريبين منه والبعيدين عنه الذين عرفهم في حياته والذين لم يعرفهم: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم»** (مت٢٨:‏١٩).

بالصلاة يصير الإنسان كاهناً بمعنى أنه يصبح أميناً على نفوس الآخرين قادراً بالحب والبذل وشركة دم المسيح وكهنوته أن يرفع عنهم قصاص الموت بسبب الخطيئة، إذ يحمل خطيئتهم في قلبه عنهم ويئن منسحقاً تحتها ويتوب عنهم طالباً الغفران كخاطئ عِوضَهم!

٥ - طقس صلاة الروحانيين

حينما ترتفع الصلاة إلى التسبيح والتمجيد والشخوص في وجه المسيح

+ الصلاة هي دعوة للتعرف على صفات الله ولاهوته!! «الرب معكم ما كنتم معه، **إن طلبتموه يوجد لكم** وإن تركتموه يترككم» (٢أي ١٥ : ١)، «هذا ما تكلم به الرب قائلاً: في القريبين مني أتقدس» (لا ١٠ : ٣).

لذلك عندما ينشغل قلب الإنسان بصفات الله الجميلة ويتقرب إليه أثناء الصلاة، يدخل في **اختبار تذوُّق صفات الله**. فكلما انكشف لقلب الإنسان صفة جديدة من صفات الله فإنه ينال منها شيئاً، لأن الله لا يُستعلن للإنسان نظرياً بل بالقوة، وإنما في سر. ففي أثناء الصلاة يرفع الله الحجاب العقلي عن قلب الإنسان ويكشف له أسرار تدبيره وقيادته للخليقة ولنفسه على مدى الحوادث والسنين الكثيرة فيستشفُّ منها الإنسان بوضوح صفات الله، إنما بنوع من الإحساس الداخلي الذي يرافقه قوة، فيها يتذوق الإنسان الله ويأكله كما يتذوق الإنسان شهد العسل. فإن كان العسل الزائل يدفئ جسم الإنسان، فكم بالحري الله الذي يشعل كل الكيان الروحي فيحس الإنسان بنار إلهية تتأجج في باطنه، تارة تعمل للتطهير والتبكيت، وتارة تعمل للفرح والتعزية، تارة تبث في الإنسان شوقاً حاراً للملكوت، وتارة تقلقه للخدمة والبذل؛ هكذا يتقبل الإنسان أثناء الصلوات إلهامات مشيئة الله التي تناسبه. ولكن إن كان في هذا الشعور أو ذاك، فالصلاة ترتفع إلى درجات عالية جداً

من التسبيح وتمجيد صفات الله العجيبة حيث لا يتعب اللسان ولا العقل ولا الجسد من التسبيح والهتاف باسم الله وصفاته.

هذه الصلاة الملتهبة المقتصرة على التسبيح وتمجيد صفات الله فقط هي طقس صلاة الشاروبيم. والمعروف عن الشاروبيم أنهم مملوءون أعيناً كناية عن البصيرة المتزايدة جداً التي يدركون بها طبيعة الله. ولكن إدراكهم لطبيعة الله لا يتم لهم عقلياً إنما بالقوة والتأثير، لذلك قيل عن الشاروبيم أيضاً إنهم مُتَّقدون ناراً كناية عن تأثرهم الشديد بطبيعة الله. وهكذا نجد أن العلاقة بين «الممتلئين أعيناً» و«المتَّقدين ناراً» علاقة أساسية في الخليقة الروحانية، **لأن انكشاف البصيرة الروحانية في الصلاة يؤدي إلى استقبال قوة الطبيعة الإلهية النارية.**

كذلك نعلم أن طقس صلاة الشاروبيم يمتاز **بالصراخ بأصوات لا تهدأ وأفواه لا تسكت عن التسبيح** والتمجيد المتواصل: «قدوس قدوس قدوس» (إش٦:٣)، وذلك لأن طبيعة الله مجيدة جداً، ويستحيل على أية خليقة أن تطَّلع على طبيعة الله ثم تستطيع أن تكف عن تمجيدها.

لذلك حينما نشخص بالحب في وجه يسوع المسيح في الصلاة متواتراً دون أن يكون لنا أية علة للصلاة سوى تمجيد الله، يرتفع حينئذ الحجاب العقلي عن أرواحنا، وندرك مجد طبيعة الله الذي في المسيح: «الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو٤:٦)، وبذلك ندخل في طقس الروحانيين. وهكذا نجد أن في الصلاة الشاخصة نحو المسيح على الدوام نُوهَب أعيناً كثيرة شاروبيمية تعمل فينا «لإنارة معرفة مجد الله». وحينئذ تتَّقد قلوبنا بالنار الإلهية التي تضطرم فينا حتى لا نعود نقوى في هذه الساعات المباركة إلا على التمجيد المتواصل.



+ كل مرة نقف فيها أمام المسيح لنصلي بحرارة وتوسل تتلاقى حينئذ مشيئتنا مع مشيئته فننال رحمة. وبكثرة الصلاة وإخلاصها تتقارب المشيئتان.

+ لا يمكن أن يتقابل معنا المسيح أو نتعرّف على مشيئته إلا بالصلاة.

+ (توجيهات اختبارية في الصلاة تصلح للجميع)

٢٥

الثمن جنيه ونصف